**دفاتر علوفات الإنكشارية**

تشكّل دفاتر الإنكشارية المحفوظة في مصلحة المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية مصدرًا أساسيًا للبحث في تنظيم الأوجاق ؛ و هي في الحقيقة عبارة عن دفاتر العلوفات الّتي كان يتقاضاها كلّ منتسبٍ لأوجاق الإنكشارية في أوقات معلومة كلّ شهرين هجريين. و يبلغ عدد هذه الدفاتر ثلاثة و ثلاثين دفترًا بحسب الفهرس الخاصّ الّذي وضعه محافظ الوثائق العربية دﻳﭭﻮ (Devoulx) سنة 1850، و كلّ "**دفتر قيّدت فيه أسماء العساكر الإنجشارية و أسماء آبائهم و بلادهم، و من أيّ وجاق**(كذا)**، و ما يتحصّل لكلّ واحد بانفراد في كلّ مرتّب ؛ لأنّ الراتب ليس على صنف واحد، بل الأدنى يقبض في كلّ راتب فرنك و خمسة سنتيمات، و يبقى طالعًا بحسب مكثه في الخدمة إلى أن ينتهي لثلاثون فرنك، و هي الدرجة العليا.**" و قد حكم هذا الأخير بعدم جدوى هذه المجموعة من الدفاتر للإدارة الاستعمارية بالجزائر ؛ و لذا، أمر بإيداعها المكتبة الوطنية بالجزائر سنة 1852، حيث توجد إلى يومنا هذا. أمّا في الفهرس الّذي أقامه فانيان(Fagnan) لمخطوطات المكتبة الوطنية، فذكر أنّ عددها ثمانية و عشرين، مضيفًا أنّه "**لا يظهر أنّها تنطوي على أيّة أهمّية تاريخية** !"(3). و هو زعمٌ دحضه بسهولة الباحث دوني (Deny) في دراسته الرائدة حول الدفاتر الّتي نشرها في المجلّة الإفريقية. و توصّلنا فيما يخصّنا إلى أنّ عددها الحقيقي هو أربعة و ثلاثين، بعدما عكفنا على تجميع أجزاء الدفاتر العديدة الّتي كانت خِلط مِلط و قمنا بإعادة ترتيب أوراقها المبعثرة.

و لقد تمّ ترقيم الدفاتر في بداية الفترة الاستعمارية عدّة مرّات بشكل فوضوي، لم تراع فيها أيّة اعتبارات ؛ و لأجل ذلك، ضربنا صفحًا عن ذكر تلك الترقيمات، و لم نعرها أيّ اعتبار. و كان الّذي احتفظنا به، هو الّذي تمّ بحسب فهرسة فانيان، و الّذي كان معتمدًا من قبل مصلحة المخطوطات ؛ و هو يتدرّج من 1960 إلى 1986، بالإضافة إلى وجود سبعة أرقام مكرّرة. و لو أنّ هذا الترقيم - مثل سابقيه - لم يراع قطّ ترتيبها حسب التسلسل الزمني، كما تأكّد لنا بعد الاطّلاع عليها.

على كلٍّ، هذه الدفاتر تغطي عهد الدايات في مجمله، حيث يعود أقدمها إلى الفترة ما بين شهري يناير 1689 و 1694، بينما أغلق أحدثها أيّامًا معدودة قبل سقوط مدينة الجزائر بيد الفرنسيين ؛ و قد سجّل وجود ثغرات بسبب ضياع العديد من الدفاتر. و كون اثنان من الخوجات الكبار (الدفتردار و المقاطعجي) تعهّدا قيدها بغرض الرقابة المالية بلا شكّ، فإنّ الملاحظ اتّباع الدفاتر لنسق واحد تقريبًا و توافق البيانات الأساسية بالنسبة للمتزامنة منها، رغم ورودها في سلسلتين غير متطابقتين من حيث الفترات الزمنية المغطاة لكلّ دفتر و الإشارات الهامشية المتضمّنة.

و نتبيّن أمر بقاء الدفاتر المذكورة مهملة لكونها كتبت بلغة عثمانية تخلّلتها في بعض الأحيان ألفاظ أو عبارات عربية مشوبةٍ بالدارجة، بالإضافة إلى أنّها مقيّدة بخط "سياقت" المندغم و العديم التنقيط، إلى جانب خط الرقاع الّذي كتبت به العبارة الهامشية ببنط صغير جدًّا ؛ و قد ينضاف أحيانًا إلى صعوبة قراءتها، ركاكة الخط الّتي ميّزت بعض ماسكي هذه الدفاتر من كبار الخوجات (الدفتردار و المقاطعجي). و ممّا يعقّد أمر دراستها - علاوةً على ذلك - أنّ أغلب هذه الدفاتر كبير الحجم نسبيًا حيث من 52 سنتيمتر طولاً و 25 سنتيمتر عرضًا بالنسبة لأبعاد أقدمها يزداد حجمها تدريجيًا حتّى يصل إلى ما يقارب 56 سنتيمتر و 42 سنتيمتر على التوالي بالنسبة لأواخرها ؛ ناهيك أنّ عددًا منها ناقصة فقدت تجليدها و جزءًا من أوراقها، أو تالفة كونها تأثّرت بعوامل الرطوبة و الجفاف، الحشرات (الأرضة، السوسة) و الفطريات.